الفتح الإسلامي لبلاد المغرب
وموقف السكان المحليين من الصراع الإسلامي المسيحي (البيزنطي) في المنطقة

The Islamic Conquest of the Maghreb and the Position of the Local Population towards the Islamic-Christian (Byzantine) Conflict in the Region

د.طويل عماد[1]

مخبر التراث والدراسات الأثرية، جامعة محمد لمين دباغين- سطيف2

i.touil@univ-setif2.dz

تاريخ الوصول 2024/02/21 القبول 2024/04/25 النشر على الخط 2024/06/15

Received 21/02/2024 Accepted 25/04/2024 Published online 15/06/2024

ملخص:

مع بداية القرن السابع للميلاد وظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية كانت بلاد المغرب القديم تعيش في كنف المسيحية والمسيحيين في ظل الاحتلال البيزنطي الذي احتل أغلب المناطق الشرقية وحتى موريطانيا السطايفية ، فكان بذلك البحر المتوسط مجالا مفتوحا للمسيحية وللفكر المسيحي الذي تغلغل في المنطقة وسيطر على أغلب شعوبها ، وأمام هذا الوضع تحركت موجات بشرية هائلة باتجاه بلاد المغرب والحوض الغربي للمتوسط، هدفها في ذلك نشر الدّين الإسلامي وطرد المسيحية والقضاء على المسيحيين، الأمر الذي كان بمثابة الشرارة الأولى لبداية الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للبحر الأبيض لمتوسط ، انطلاقا من ذلك نطرح التساؤل التالي: كيف بدأت عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وما طبيعة الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للمتوسط ، وتكمن أهمية البحث في الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السابع والثامن للميلاد.

الكلمات المفتاحية: الفتح الإسلامي، المسيحية، الصراع، البحر المتوسط، البيزنطيين.

Abstract:

the Mediterranean Sea was an open field for Christianity and Christian thought that penetrated the region and controlled most of its peoples. In the face of this situation, massive human waves moved towards the Maghreb and the western basin of the Mediterranean, with the goal of spreading the Islamic religion, expelling Christianity, and eliminating Christians, which was the first spark for the beginning of the Islamic-Christian conflict in the western basin of the Mediterranean. Based on that, we pose the question: Next: How did the process of Islamic conquest of the Maghreb begin and what is the nature of the Islamic-Christian conflict in the western Mediterranean basin? The importance of researching the Islamic-Christian conflict in the western Mediterranean basin during the seventh and eighth centuries AD.

Keywords: Islamic conquest, Christianity, conflict, Mediterranean, Byzantines.

[1] المؤلّف المراسل: **طويل عماد** البريد الإلكتروني: **i.touil@univ-setif2.dz**

1. مقدمة:

عرفت منطقة بلاد المغرب القديم توافد شعوب كثيرة إليها استقرت في المنطقة وكانت تدين بديانات ومعبودات تختلف عن الآلهة المحلية ، بداية من الوثنية و المسيحية إلى غاية الفتح الإسلامي، أين أصبحت كامل شعوب المنطقة تدين بالدين الإسلامي، وقد كانت بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي مسرحا لصراع العديد من الحضارات والشعوب القديمة التي وصلت إليها عبر البحر الأبيض المتوسط، بداية بالفينيقيين والإغريق ثم الرومان و الوندال ثم البيزنطيين ، وقد كان للسكان المحليين دورا كبيرا في هذه الصراعات التي انعكست عليه وعلى تطوره الفكري و الديني والحضاري بشكل عام .

ومع بداية القرن السابع للميلاد وظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية كانت بلاد المغرب القديم تعيش في كنف المسيحية والمسيحيين في ظل الاحتلال البيزنطي الذي احتل اغلب المناطق الشرقية إلى موريطانيا السطايفية ، فكان بذلك البحر المتوسط مجالا مفتوحا للمسيحية وللفكر المسيحي الذي تغلغل في المنطقة وسيطر على أغلب شعوبه ، وأمام هذا الوضع تحركت موجات بشرية هائلة باتجاه بلاد المغرب والحوض الغربي للمتوسط، هدفها في ذلك نشر الدين الإسلامي وطرد المسيحية والقضاء على المسيحيين، الأمر الذي كان بمثابة الشرارة الأولى لبداية الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للبحر الأبيض لمتوسط ، انطلاقا من ذلك نطرح التساؤل التالي: كيف بدأت عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وما طبيعة الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للمتوسط؟ وما هي أسبابه وأهم مجريات هذا الصراع ؟ وما موقف السكان المحليون من الصراع ؟ وما طبيعة العلاقة التي جمعتهم بالفاتحين العرب مع بداية الفتح ؟

نهدف من خلال هذا البحث إلى إبراز دور القبائل المورية (البربر) في الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السابع والثامن للميلاد، وتأكيد أهمية البحر المتوسط بالنسبة للمسلين الفاتحون العرب والمسيحيون الأمر الذي جعله مسرحا للصراع، والسيطرة عليه تعني السيطرة على المناطق التي تطل عليه، حيث سيكون مسرحا لصراعات كثيرة و لفترات زمنية طويلة بين المسلمين والمسيحيين ، وكذا إبراز الدور الكبير الذي لعبه السكان المحليون في مواصلة عملية الفتح والقضاء على الاحتلال البيزنطي، والوصول إلى غاية المناطق الشمالية من الأندلس .وقد استعملنا المنهج التاريخي التحليلي في دراسة مختلف الأحداث التي ذكرتها المصادر بنوع من التحليل و التمحيص للوصول إلى الحقيقة التاريخية .

2- أوضاع بلاد المغرب القديم قبل الفتح الإسلامي:

تختلف الحملة التي قادها المسلمون العرب على بلاد المغرب تماما عن الحملات السابقة على المنطقة من طرف الرومان والوندال والبيزنطيون عكس ما تروج له الدراسات الإستشراقية في كونه لا يوجد أي اختلاف بينها وبين الحملات التي سبقتها على بلاد المغرب، ويكمن الاختلاف حسبنا إلى أن الحملة التي قام بها المسلمون العرب هي عبارة عن فتح إسلامي والذي كان تحركه وهدفه في الأساس من منطلق منظور تأدية وإيصال رسالة الله–عزّ وجل– للخلق وأن هذه الرسالة لن تلقى القبول إلا إذا كانت عبر أنبل الوسائل وأرقى التعامل الذي يزداد بهما القبول والدوام لهذه الرسالة وهو ما بدر من الفاتحون العرب في بلاد المغرب مع بداية الفتح[1] .

[1] – مصطفى داودي ،قراءة في حقيقة الفتح الإسلامي ومعاملة الولاة لأهل بلاد المغرب ، مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية، العدد الثاني ، 2013، ص 275.

هذا ولا نكاد نجد الشيء الكثير في المصادر التاريخية عن أوضاع بلاد المغرب القديم قبل الفتح الإسلامي سوى أن المنطقة كانت تسيطر عليها الجيوش البيزنطية وفي المناطق الشرقية من بلاد المغرب دون غيرها من المناطق الأخرى، خاصة إذا علمنا أن البيزنطيون لم يتمكنوا من تجاوز حدود موريطانيا السطايفية في توسعاتهم خلال القرن السادس للميلاد، وأن كامل المناطق التي تقع غرب مويطانيا السطايفية كانت تحت سيادة القبائل المورية بمختلف أقاليمها.

وقد كانت الأوضاع الدينية في بلاد المغرب القديم قبيل الفتح الإسلامي جد مضطربة وذلك راجع للصراع المذهبي(الكاثوليكي ، الدوناتي والأريوسي) في المنطقة والصراع المسيحي الوثني[1] ، الذي بقيت الكثير من القبائل المورية تدين به ولم تعتنق المسيحية هروبا من دين ومذهب المحتل البيزنطي الجديد، رغم الجهود الكبيرة التي قامت بها سلطة الاحتلال البيزنطي لنشر المسيحية في المنطقة، كما انصرف الكثير من سكان بلاد المغرب إلى الميل للكنسية الغربية وأفكارها والابتعاد عن مساندة الكنيسة البيزنطية، أين أدى هذا الفعل إلى انشقاق مذهبي كبير كان له اثر عميق في الحياة الدينية في بلاد المغرب القديم .

هذا وتذكر المصادر الإسلامية أن الفاتحين العرب عندما باشروا عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب القديم وجدوا الكثير من القبائل المحلية في المنطقة تدين بالديانة المسيحية، وهو ما ذكره ابن خلدون عن قبيلة أوربة (تقع مابين تلمسان و وليلي) في كونها كانت تدين بالنصرانية تحت قيادة كسيلة بن لمزم[2] .

وفيما يخص الأوضاع الاجتماعية في المنطقة فلم تكن واضحة المعالم، إذ كان المجتمع يتشكل من خليط من الأجناس البشرية التي استوطنت المنطقة نتيجة الاستقطاب البشري الذي عرفته بداية بالفينيقيين ، الرومان، الوندال والبيزنطيون، الأمر الذي انعكس كثيرا على المجتمع المحلي خاصة السكان المستقرون في الأرياف والمدن الشمالية وأدى ذلك إلى بروز أعراق بشرية كثيرة انتشرت في المنطقة[3] .

وقد ذكر ابن خلدون[4] في كتابه أن مجتمع بلاد المغرب القديم مع بداية الفتح الإسلامي كان يتشكل من عنصرين أساسيين هما البتر و البرانس، وكل جذر منهما كان مقسّما إلى فروع كثيرة يكون في الغالب ولائها السياسي و العسكري ثم الاجتماعي للجذر الكبير الذي تنحدر منه تحت قيادة قائد القبيلة الذي يتمتع بالسلطة والمكانة المرموقة في القبيلة[5] .

وقد انعكست الأوضاع الدينية والاجتماعية على الحياة السياسية في المنطقة وبدأ الحكام البيزنطيين يسعون إلى الانفصال بإفريقيا عن الإمبراطورية البيزنطية، و أول من حاول الانفصال نذكر هرقل الذي قام بحجز كل السفن البيزنطية الموجودة بقرطاجة التي كانت تنقل القمح إلى العاصمة البيزنطية وكان ذلك في عهد الإمبراطور البيزنطي فوكاس، وقد تطور الصراع إلى ظهور عدة ثورات بين الطرفين كانت انطلاقة الجيوش من إفريقيا إلى بيزنطا للإطاحة بحكم فوكاس بعد الإلحاح الكبير من البيزنطيين على هرقل لتخليصهم من بطش الإمبراطور فوكاس ، وقد انعكس هذا الصراع كثيرا على الأوضاع في بلاد المغرب القديم .

---

[1] – مؤلف مجهول، مفاخر البربر تحقيق عبد القادر بوباية، المطبعة الملكية ، الرباط، 2005م، ص196.

[2] – بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، ج6، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 2001م، ص140.

[3] – محمد الصغير غانم، مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم ، ج2، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر، 2010م، ص288

[4] – ابن خلدون ، المصدر السابق، ص4

[5] – محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، ج2،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص513

وفيما يخص الأوضاع الاقتصادية فتذكر المصادر الإسلامية أن الفاتحين العرب عند بداية الفتح على بلاد المغرب وجدوا المنطقة مزدهرة اقتصاديا وصفوها على أنها كثيرة الزرع وافرة الثمرات، وهو ما يفهم من رواية ابن عبد الحكم في كون زراعة الزيتون كانت مزدهرة في البلاد يتاجر الناس فيها ويصيبون من وراءها ربحا عظيما يعود على المنطقة وسكانها[1].

ويؤكد ذلك شارل ديلcharl diehl في قوله " أننا في أرض السهوب فيما يلي القيروان جنوبا وفي السهول الواسعة المهجورة حاليا التي تمتد جنوب هضبة الاوراس وفي السهول التونسية نجد آثارا لمدن كبيرة أو صغيرة وقرى آهلة وأراض مزروعة على امتداد كبير، وقد كانت عامرة بالسكان حوالي منتصف القرن السابع للميلاد على الرغم ما عرفته من صراعات وحروب" [2].

3- أسباب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب القديم: يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: الخوف من الخطر المسيحي الذي قد يصيب بلاد المشرق الإسلامي والذي يكون مصدره بلاد المغرب القديم، لأن المنطقة الشرقية لبلاد المغرب كانت تحت سلطة الإمبراطورية البيزنطية المسيحية في وقت سابق قبل أن تصبح تحت سلطة المسلمين الذين ضموها إلى أراض الخلافة الإسلامية.

ثانيا: العمل على حماية الحدود الغربية للدولة الإسلامية وللمسلمين من غارات البيزنطيين المتكررة عليها، ولا يكون ذلك إلا بالولوج إلى بلاد المغرب والقضاء على هذا الخطر المحتمل.

ثالثا: الرغبة في الفتح الإسلامي للمنطقة ونشر الدين الإسلامي فيها، حيث لن يتحقق ذلك إلا باستكشاف المنطقة ومعرفة خباياها ومدى قابلية أهل المغرب للدين الجديد عليهم.

رابعا: الاستقرار في المنطقة ومخالطة السكان المحليين وهي ضرورة ملحة رآها الفاتحين العرب وذلك حتى يتم استكمال تحقيق الفتح لإرساء قواعد الدولة الإسلامية ببلاد المغرب.

خامسا: السيطرة على مختلف المناطق والأقاليم في البحر المتوسط حتى يتم التصدي للخطر المسيحي الغربي الذي مصدره البحر المتوسط والشعوب المسيحية التي تقطن على سواحله، الأمر الذي أدى إلى التفكير في ضرورة السيطرة على منافذ البحر المتوسط، وهو ما تجسد من خلال التوسع على الأندلس وإخضاعها إلى أراضي بلاد المغرب.

4- بداية الصراع المسيحي (البيزنطي) – الإسلامي:

بدأ الصراع الإسلامي البيزنطي في بلاد المغرب القديم عندما قرر الخليفة عمرو ابن الخطاب فتح بلاد المغرب، وقد كانت المحاولات الأولى سنة 642م أين تمكن عمر ابن العاص من فتح مصر بعد حصار دام ثلاثة أشهر وعين واليا عليها[3] ،وقد عمل هذا الأخير على تحصين مصر من خطر البيزنطيين الذين كانوا يحكمون المغرب الأدنى (افريقية–تونس) .

[1] – ابن عبد الحكم، فتوح...، المصدر السابق، ص184–185.

[2] - Diehl ch , l'Afrique byzantine .histoire de la domination byzantine en Afrique 533-709 , paris, 1896.p525.

[3] – جورج مرسيه،دائرة المعارف الإسلامية ، مقال عمرو ابن العاص،ج24، ص09.

بعد ذلك سار عمرو ابن العاص لفتح برقة وقد صالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية[1] ، وقد تم فتح برقة سنة 21 هجري حسب اليعقوبي والطبري وتم الفتح سنة 22هـ حسب ابن الأثير وابن الحكم[2] وولى عليها عقبة ابن نافع الفهري[3] .

ويظهر من ذلك أن بربر برقة لم يكتفوا بالتحالف والتعاون مع المسلمين الفاتحين، فقد قاموا بإرسال رسل منهم إلى الفاتح العربي عمرو ابن العاص قبل أن يخلص من فتح مصر ويعرضون عليه الدخول في الإسلام على يديه، فقد استطاع بذلك عمرو ابن العاص أن يفهم ما يريدون بواسطة مترجم نقل إليه كلامهم فأرسلهم إلى عمر ابن الخطاب الذي رحب بهم ، ونفهم من ذلك أيضا أن علاقة القبائل الطرابلسية مع البيزنطيين في هذه الفترة كانت علاقات عدائية تشوبها الصراعات و الحروب بسبب السياسة التوسعية التي انتهجها البيزنطيين اتجاه هذه القبائل [4] .

وبعدها واصل عمرو ابن العاص حروبه ضد البيزنطيين ووصل إلى طرابلس سنة 642م وقد تمكن من الانتصار على البيزنطيين وفتح المدينة بعد حصار دام شهرا كاملا وقد كتب على إثر هذا الانتصار رسالة إلى أمير المؤمنين عمرو ابن الخطاب جاء فيها :" إنا قد بلغنا طرابلس وبيننا وبين إفريقية تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل " فرد عليه عمرو قائلا " لا إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرّقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت "[5] ، فتوقف بذلك الصراع طيلة فترة حكم عمرو ابن الخطاب إلى أن يستمر في عهد عثمان ابن عفان الذي قرر إرسال عدة حملات متتالية، كان الهدف منها نشر الإسلام في إفريقية و القضاء على البيزنطيين والمسيحية فيها .

5- تطور الصراع المسيحي (البيزنطي) الإسلامي :

يتجدد الصراع الإسلامي البيزنطي في إفريقية بعد تولي عثمان ابن عفان الخلافة حيث كانت في عهده أول الحملات الإسلامية ضد البيزنطيون في إفريقية أين أسندت قيادة الجيش الإسلامي إلى الحارث ابن الحكم ابن العاص على أن يكون تحت إمرة أمير مصر عبد الله ابن سعد ابن أبي سرح، وفي الطرف الآخر كان حاكم إفريقيا آنذاك حاكم بيزنطي يدعى جرجير "Djardjire " الذي انفصل بحكم إفريقيا عن الإمبراطورية البيزنطية التي احتلت المنطقة .

وقد التقى الجيشان الإسلامي والبيزنطي في سبيطلة وقبل الحرب دعا عبد الله ابن سعد الحاكم جرجير إلى الإسلام أو الجزية لكنه رفض ورد عليه قائلا[6] : " لا أقبل هذا أبدا ولو سألتموني درهم واحدا لم أفعل " فكان ذلك سببا كافيا للحرب بين الطرفين. وكان ذلك في حدود سنة 647م أين تم الانتصار على البيزنطيين وفتح إفريقية التي أصبحت تابعة للخلافة الإسلامية في عهد عثمان ابن عفان وعقدت على ذلك معاهدة صلح مع المسلمين مقابل دفع الجزية .

---

[1] – ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج1، ص75

[2] – شعبان إيمان، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة ، العدد 9، أفريل 2021م، ص 172.

[3] – ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب،ج1، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، 2001م، ص230.

[4] – حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية ، مصر، ص54

[5] – عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، بيروت، 2004، ص96.

[6] – أبي العرب تميم، طبقات علماء افريقية ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، ص22

توقف الصراع الإسلامي البيزنطي بعدها ما يقارب ثلاثة عشر سنة (13) من فتح إفريقية ولا نكاد نجد في المصادر أي ذكر للحرب بين الطرفين البيزنطي والإسلامي، إلا أن الحملات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط لم تتوقف وبدأ أبي سرح في بناء أسطول بحري كبير من أجل إنهاء السيطرة البيزنطية في الحوض الغربي للمتوسط[1] وبقيت الأمور على حالها طيلة فترة حكم عثمان ابن عفان .

وفي سنة 666م قام الخليفة معاوية ابن أبي سفيان بإرسال معاوية ابن حديج الكندي لغزو إفريقية ومعه عشرة آلاف (10ألاف) مقاتل ومعه مجموعة من الصحابة وعدد من أشراف قريش وقد توغل في إفريقية وعسكر فيها وقام بعدة حملات على مختلف المدن البيزنطية وحقق خلالها عدة انتصارات أين غنم الكثير .

وأمام هذا الزحف الإسلامي على إفريقية قام الإمبراطور البيزنطي بإرسال ما يقارب ثلاثين ألف (30 ألف) جندي إلى إفريقيا لإيقاف الزحف الإسلامي على بلاد المغرب بقيادة قائد يدعى نقفور Nakfour ، وأمام قوة المسلمين ولما رآه نقفور عاد أدراجه دون قتال حيث تمكن المسلمين من فتح مدينة سوسة وبعدها غزوا مدينة بنزرت وغنموا الكثير من الأموال.

وفي سنة 671م قام الخليفة معاوية ابن أبي سفيان بعزل معاوية ابن حديج من حكم إفريقية وعين مكانه عقبة ابن نافع الفهري الذي كان يستقر في برقة حيث دخل إفريقية ومعه عشرة آلاف فارس أين انظم إليه من أسلم من البربر وقد سيطر على إفريقيا بأكملها ولم تظهر أي مقاومة لا من البيزنطيين ولا من السكان البربر في هذه الفترة ، وقرر بذلك بناء مدينة بإفريقية تكون قاعدة عسكرية ومقرا للمسلمين ومقرا للحاكم وهي مدينة القيروان، وقد عمرت بكثير من الدور و المساجد والمنشآت العسكرية وكانت بمثابة القاعدة الرئيسية لحملات الفتح في كامل بلاد المغرب ومركزا فكريا للإشعاع الإسلامي ومنه انتشار تعاليم الإسلام في كامل افريقية .

وفي سنة 676م تم عزل عقبة ابن نافع عن ولاية إفريقية وعين أبو المهاجر الدينار خلفا له وكان أول من قام بفتح المغرب الأوسط ووصل إلى تلمسان بعد أن حقق انتصارا كبيرا على كسيلة زعيم القبائل البربرية، وعمل كثيرا لاستمالة البربر ودعوتهم إلى اعتناق الدين الإسلامي والتخلي عن الوثنية والنصرانية[2] .

وفي سنة 680م توفي معاوية وخلفه ابنه يزيد الذي قام بإرجاع عقبة ابن نافع لولاية إفريقية سنة 681م ومنذ توليه ذلك عمل على التحضير لحملة كبيرة لفتح كامل شمال إفريقيا، وقد خرج سنة 683م هو وأصحابه من القيروان إلى تلمسان وكان في طريقه يخضع القبائل البربرية والبيزنطيين وقد تغلب عليهم وحقق انتصارا كبيرا، بالرغم من أن الكثير من البربر كانوا متحالفين مع البيزنطيين ويقاتلون في صفهم لأنهم كانوا يرون في العرب الفاتحين مجرد محتلين يريدون السيطرة على المنطقة واحتلالها.

وقد تمكن عقبة بن نافع من إخضاع منطقة الزاب وتيهرت وتلمسان ووصل إلى طنجة وقام بإخضاعها دون قتال من البيزنطيين الذين كانوا يحتلونها، وتوجه بعد ذلك إلى مدينة وليلي وخاض عدة معارك ضد البيزنطيين و البربر واستطاع الانتصار عليهم ولم يترك أي مدينة في بلاد المغرب إلا وقام بفتحها وضمها إلى الأراضي الإسلامية ، وبعدها عاد إلى افريقية وقبل وصوله قرر السير إلى تهودة (بسكرة) التي قتل بها بعد أن قام كسيلة مع عدد من البيزنطيين بمباغتة جيشه والقضاء عليه .

[1] – عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص100

[2] – خليفة بن خياط، ، تاريخ خليفة بن خياط العصفري، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1993م،171.

بعد وفاة عقبة قام كسيلة باحتلال مدينة القيروان واستقر فيها مع البربر والبيزنطيين المتحالفين معه إلى غاية 690م أين قام زهير ابن قيس البلوي بتجهيز حملة باتجاه القيروان والقضاء على كسيلة والبيزنطيين المعسكرين بها وقد تمكن من واسترجاع القيروان و القضاء على البيزنطيون والمور بقيادة كسيلة قائد البربر[1] .

وفيما بين 693-704م واصل حسان ابن النعمان فتح إفريقية وأراد القضاء تماما على البيزنطيون الروم وعلى مقاومات البربر للفتح الإسلامي، فبدأ حملته على قرطاج التي احتلها وقام بتدميرها ثم سأل عن أقوى القبائل في إفريقيا فوجدها في الأوراس بقيادة الكاهنة فسار إليها ولكنه فشل في أول قتال جمعه بالقبائل الأوراسية بقيادة الكاهنة.

وبعدها جهز حسان ابن النعمان حملة ثانية سنة 701م ضد الكاهنة وعلى القبائل الأوراسية حيث تمكن هذه المرة من القضاء عليها وإخضاع القبائل الأوراسية التي كانت من أقوى القبائل المورية التي صعب على الفاتحين العرب إخضاعهم إلى الخلافة الإسلامية، وبمجرد القضاء على الكاهنة خضعت أغلب قبائل المغرب القديم واطمأنت نفوسهم للإسلام وللفاتحين العرب ولم تبق إلا قبائل قليلة لم تخضع ولم تسلم بعد وكان من السهل إخضاعها.

هذا ولم تخمد ثورات القبائل المورية مع وفاة الكاهنة و كانت الردة في بعض القبائل من حين لآخر، ولم تخمد هذه الثورات بشكل نهائي حتى وصل موسى ابن النصير إلى إفريقية سنة 706م أين أخضع القبائل المتبقية التي لم تخضع بعد وبقيت تقاوم، وقد انتهت مقاوماتها نهائيا عندما قام موسى ابن النصير بفتح الأندلس سنة 800م وإشراك القبائل المورية وزعمائهم في عملية الفتح[2] .

6- موقف القبائل المورية من الصراع المسيحي (البيزنطي) الإسلامي :

يمكن فهم موقف القبائل المورية (سكان المغرب القديم) من الصراع البيزنطي الإسلامي من خلال معرفة أحداث الحملة التي شنها عمر ابن العاص وال مصر على برقة، أين لم يظهر سكان برقة أي مقاومة مع البيزنطيين لرد الحملة ذلك لأنهم كانوا ناقمين من سياسة البيزنطيين في المنطقة ونظروا إلى الحملة التي قادها الفاتحين العرب المخلص لهم من بطش الإدارة البيزنطية، فقامت مجموعة من القبائل الطرابلسية بالتحالف مع العرب المسلمين ضد البيزنطيين، وقد نجحت الحملة التي قادها عمر ابن العاص وتم ضم برقة دون مقاومة كبيرة تذكر من طرف البيزنطيين ولعبت القبائل البربرية دورا كبيرا في هذا الانتصار .

في حين نجد رأيا آخر يقر بأن البربر وقفوا إلى جانب البيزنطيون ويؤكد ذلك من خلال التطرق لأحداث الحملة الأولى التي قادها المسلمون على إفريقية في عهد عمرو ابن الخطاب، حيث ذكر ابن عذارى في كتابه ما يلي " ....فلما رأى البربر ذلك فروا وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة ...."[3] ، كذلك نجد التحالف الموري البيزنطي في الحملة الثانية التي قادها عقبة ابن نافع على إفريقية، وربما يكون سبب ذلك هو إساءة بعض قادة العرب المسلمين للقبائل البربرية الأمر الذي أثارهم ورؤسائهم ضد المسلمين ودفعهم للتحالف مع البيزنطيين بدل التحالف مع العرب المسلمين[4] .

---

[1] – الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج1، تحقيق محمد ماضود، مكتبة العتيقة ، تونس، 1978م، ص43.

[2] – الرقيق القيرواني،تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق محمد زينهم، دار الفرجاني، القاهرة، مصر، 1994م ،ص44.

[3] – ابن عذارى ، المصدر السابق، ج1، ص ص9-10.

[4] – يزير بشير، حضور الدين في مقاومة البربر للاحتلال البيزنطي قبيل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، مجلة الميدان للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد الثالث، 2020، ص105

هذا وتذكر المصادر التاريخية أن كسيلة بعد وفاة عقبة ابن نافع اجتمع مع البيزنطيين والبربر وقرر السير نحو القيروان واحتلالها وطرد سكانها وقد كان له ذلك وأصبح قائدا على افريقية واتخذ من القيروان عاصمة لمملكته، هذا الأمر يبين أيضا التحالف الموري البيزنطي أواخر القرن السابع للميلاد الأمر الذي يؤكد فكرة إساءة بعض قادة العرب للبربر وهو ما كان من عقبة اتجاه كسيلة[1] .

و تذكر المصادر أيضا التقارب الذي كان بين قبيلة أوربة (تمتد حدودها مابين تلمسان و وليلي) و الاحتلال البيزنطي، فقد قاومت هذه القبائل إلى جانب البيزنطيين ضد الفاتحين العرب أين وجد أبو مهاجر الدينار صعوبة كبيرة في القضاء على مقاومتها والقضاء على البيزنطيين الذين كانوا إلى جانبها ولم يتسنى له ذلك إلا بعدما اسلم زعيمها كسيلة وهو ما ذكره ابن خلدون "ظفر به أبي المهاجر وعرض عليه الإسلام فاسلم واستنقذه وأحسن إليه وصحبه"[2].

وأمام الحملات الإسلامية على بلاد المغرب قام الحاكم البيزنطي جرجير بالاستعانة والتحالف مع زعماء القبائل المورية لصد الحملة الإسلامية على إفريقية خاصة بعد خسارة البيزنطيين لكل من برقة، طرابلس، فزان، حيث استطاع أن يجمع إلى صفه عدد كبير من السكان المحليين والمترومنين لرد الهجمات الإسلامية على المنطقة[3] أين استطاع حشد ما يزيد عن 120 ألف جندي أغلبهم من القبائل المورية وهو عدد ربما مبالغ فيه .

7- علاقة الفاتحين المسلمين بالقبائل المورية:

يذكر موسى لقبال في كتابه تاريخ المغرب الإسلامي أنه وبعد المعركة الفاصلة والانتصار الذي حققه المسلمين العرب على الكاهنة أصبحت مهمة نشر الإسلام وتعاليمه ليست من مهام العرب الفاتحين فقط بل أصبح يشاركهم في ذلك السكان المحليين(البربر) أيضا ، ويعود ذلك إلى العدل والمساواة بين الطرفين في الحقوق و الواجبات التي طبقها الفاتحون العرب في المنطقة ، وأيضا إلى إشراكهم في تحمل مسؤولية القيادة والتسيير والعمل على نشر الإسلام وتعاليمه بين شرائح المجتمع الذي ينتمون إليه[4] .

كما أدى الانتصار الكبير الذي حققه حسان ابن النعمان على الكاهنة والبربر الذين كانوا معها إلى انضمام الكثير منهم (البربر) إلى جيش حسان ابن النعمان واعتناق الإسلام والتعاون مع العرب الفاتحين في نشر الرسالة التي جاء من أجلها العرب الفاتحين، يذكر ابن عذارى في ذلك : " أنه كان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا إليه فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من قبائلهم إثني عشر ألفا يجاهدون مع العرب ، فأجابوه وأسلموا على يديه "[5].

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج1، ص34.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق،ص193

[3] - Mercier (E.), Histoire de L'Afrique Séptentrionale (Berberie) depuis Les Temps Les Plus Reculés jusqu'à La Conquête Française, 1830, T.1,éd., Ernest Deroux, Paris, France , 1888.p196

[4] – لقبال موسى ، تاريخ المغرب الإسلامي ، دار هومه ، الجزائر، 2002، ص78

[5] – سيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م،ص161.

هذا ولم تتحدث المصادر كثيرا عن مقاومات قامت بها قبائل البربر بعد اعتناقها للإسلام منها قبيلة أوربة في الغرب بل أصبح الكثير من البربر في الصفوف الأولى مع العرب في فتح مناطق في بلاد المغرب وفي الأندلس وأصبحت العلاقات بين العرب والبربر جد وطيدة خاصة بعد الانتشار الكبير للدين الإسلامي بين أوساط المجتمع المغاربي القديم .

خاتمة : وفي الأخير يمكن القول أن :

الفتح الإسلامي لإقليم طرابلس كان سهلا منذ البداية مقارنة بالمناطق الأخرى ، يرجع ذلك للعلاقات العدائية التي كانت بين القبائل الطرابلسية والاحتلال البيزنطي منذ البداية، و يرجع أيضا للسياسة التوسعية التي انتهجها البيزنطيين منذ بداية الاحتلال، الأمر الذي زاد من حدّة الصراع الذي استمر ولم يتوقف إلا مع الحملة التي قام بها المسلمين العرب على إقليم برقة، وقد وجدت القبائل الطرابلسية في الفاتحين العرب الطريق والسند للتخلص من الهيمنة البيزنطية فبادروا إلى التحالف مع المسلمين ودفع الجزية والتحالف معهم ضد البيزنطيين خاصة بعد أن فهموا هدف المسلمين من الحملة على بلاد المغرب وأنها حملة تخليص المنطقة من الاحتلال المسيحي وليست حملة احتلال كما روج لها البيزنطيين .

تحالف البربر مع البيزنطيين ضد الفاتحين العرب مع بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب القديم كان بسبب جهل القبائل المورية بطبيعة الحملة التي قام بها العرب على المنطقة ظنا منهم أنها لا تختلف عن الحملات الأخرى التي عرفتها المنطقة من طرف الرومان والبيزنطيين ...الخ.

كان للبيزنطيين الدور الكبير في نشر الإشاعات في أن العرب المسلين يريدون احتلال المنطقة واستنزاف خيراتها ومصادرة أراضي القبائل المورية وقد استطاعوا التأثير في الكثير من زعماء القبائل المورية و إقناعهم بهدف العرب ومنهم الكاهنة التي كانت تعتقد أنهم يريدون النهب والسلب وهو ما دفعها إلى القيام بحرق المزارع وتخريب المدن و المباني حتى لا يستحوذ عليها العرب المسلمين .

كانت الحملة التي قام بها المسلمين على بلاد المغرب موجهة ضد الهيمنة المسيحية على المنطقة وعلى مناطق وجزر المتوسط ولم تكن ضد القبائل المورية التي كانت تدين بالمسيحية والوثنية وحتى اليهودية وكان هدفها نشر الرسالة المحمدية والقضاء على المسيحية التي توغلت في المنطقة .

لم يصمد المسيحيون البيزنطيين كثيرا أمام الزحف الإسلامي على بلاد المغرب خاصة بعد اقتناع القبائل البربرية باعتناق الإسلام وفهم الدافع الحقيقي من وراء الحملة التي يقومون بها على المنطقة وأنها حملة تخليص المنطقة من المسيحية و نشر الإسلام وأنها ليست حملة احتلال ولا استغلال ولا مصادرة للأراضي كما كان يروج له البيزنطيون حتى لا يتم تحالف القبائل المورية مع الفاتحين العرب .

بعد نجاح عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس أصبح البحر المتوسط في جزئيه الجنوبي و الغربي ملكا للمسلمين وحصنا منيعا ضد الهجمات المسيحية من الشمال وأصبحت كامل المناطق الشمالية التي تطل عليه أراض إسلامية بعد أن كانت مسيحية وأصبح سكانها مسلمين يدافعون عن القيم والدين الإسلامي ودفع أي خطر مسيحي .

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب،ج1، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، 2001م.
- أبو العرب محمد ابن احمد بن تميم التميمي، طبقات علماء افريقية ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان.2012م
- الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج1، تحقيق محمد ماضود، مكتبة العتيقة ، تونس، 1978م.
- الرقيق القيرواني،تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق محمد زينهم، دار الفرجاني، القاهرة، مصر، 1994م .
- بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، ج6، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 2001م.
- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية ، مصر
- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط العصفري، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1993م.
- سيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م.
- شعبان إيمان، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة ، العدد 9، أفريل 2021م.
- عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، بيروت، 2004.
- لقبال موسى ، تاريخ المغرب الإسلامي ، دار هومه ، الجزائر، 2002.
- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، ج2،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
- محمد الصغير غانم، مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم ، ج2، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر، 2010م.
- مصطفى داودي ،قراءة في حقيقة الفتح الإسلامي ومعاملة الولاة لأهل بلاد المغرب ، مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية، العدد الثاني ، 2013.
- مؤلف مجهول، مفاخر البربر تحقيق عبد القادر بوباية، المطبعة الملكية ، الرباط، 2005م.
- يزير بشير، حضور الدين في مقاومة البربر للاحتلال البيزنطي قبيل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، محلة الميدان للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثالث، 2020م.

References :

−Ibn ʻAbd al-ḥukm, Fattūḥ Miṣr wa-al-Maghrib, j1, taḥqīq ʻAbd al-Munʻim ʻĀmir, al-Qāhirah, 2001M.

-Abū al-ʻArab Muḥammad Ibn Aḥmad ibn Tamīm al-Tamīmī, Ṭabaqāt ʻulamāʼ Ifrīqīyah, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Bayrūt, Lubnān. 2012m

- al-Dabbāgh, Maʻālim al-īmān fī maʻrifat ahl al-Qayrawān, j1, taḥqīq Muḥammad māḍwd, Maktabat al-ʻatīqah, Tūnis, 1978m.

- al-Raqīq al-Qayrawānī, Tārīkh Ifrīqīyah wa al-Maghrib, taḥqīq Muḥammad Zaynahum, Dār al-Firjānī, al-Qāhirah, Miṣr, 1994m.

- ibn Khaldūn, Tārīkh Ibn Khaldūn, taḥqīq Khalīl Shiḥādah, j6, Dār al-Fikr, Bayrūt, Lubnān, 2001M.

- Ḥusayn Muʼnis, Fatḥ al-ʻArab lil-Maghrib, Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, al-Iskandarīyah, Miṣr

- Khalīfah ibn Khayyāṭ,, Tārīkh Khalīfah ibn Khayyāṭ alʻṣfry, taḥqīq Suhayl Zakkār, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1993M.

- Sayyid ʻAbd al-ʻAzīz Sālim, Tārīkh al-Maghrib fī al-ʻaṣr al-Islāmī, Muʼassasat Shabāb al-Jāmiʻah, al-Iskandarīyah, 1982m.

- Shaʻbān Īmān, al-Fatḥ al-Islāmī li-bilād al-Maghrib, Majallat Mafāhīm lil-Dirāsāt al-falsafīyah wa-al-insānīyah al-muʻammaqah, al-ʻadad 9, Afrīl 2021m.

- ʻAbd al-Wāḥid Dhannūn Ṭāhā, Dirāsāt fī Tārīkh wa-ḥaḍārah al-Maghrib al-Islāmī, Bayrūt, 2004.

- Muḥammad al-Bashīr Shinītī, al-Jazāʼir fī ẓill al-iḥtilāl al-Rūmānī, j2, Dīwān al-Maṭbūʻāt al-Jāmiʻīyah, al-Jazāʼir, 1999M.

- Muḥammad al-Ṣaghīr Ghānim, maqālāt wʼrāʼ fī Tārīkh al-Jazāʼir al-qadīm, j2, Dār al-Hudá, ʻAyn Malīlah, al-Jazāʼir, 2010m.

- Muṣṭafá Dāwūdī, qirāʼah fī Ḥaqīqat al-Fatḥ al-Islāmī wa-Muʻāmalat al-wulāh li-ahl bilād al-Maghrib, Majallat al-Ḥuqūq wa al-ʻUlūm al-Insānīyah, al-ʻadad al-Thānī, 2013.

- muʼallif majhūl, mafākhir al-Barbar taḥqīq ʻAbd al-Qādir bwbāyh, al-Maṭbaʻah al-Malakīyah, al-Rabāṭ, 2005m.

- yzyr Bashīr, ḥuḍūr al-Dīn fī Muqāwamat al-Barbar lil-iḥtilāl al-Bīzanṭī qubayla al-Fatḥ al-Islāmī li-bilād al-Maghrib, Maḥallat al-maydān lil-ʻUlūm al-Insānīyah wa al-ijtimāʻīyah, al-ʻadad al-thālith, 2020m.
- Mercier (E.), Histoire de L'Afrique Septentrionale (Berberie) depuis Les Temps Les Plus Reculés jusqu'à La Conquête Française, 1830, T.1,éd., Ernest Deroux, Paris, France , 1888.
- Diehl ch , l'Afrique byzantine .histoire de la domination byzantine en Afrique 533-709 , paris, 1896..